

خطاب شكر لصاحب الجلالة
على العواطف التي عبر عنها الشعب المغربي
بمناسبة عيد العرش

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

لقد أبيت قبل أن أغادر مدينة الدار البيضاء الا أن أتوجه اليك أيها الشعب الوفي وأن أتوجه بالأخص الى سكان مدينة الدار البيضاء الغراء لأشكركم جميعا ومن عميق قلبي على ما أبديتموه في كل نواحي المملكة، في المدن وفي القرى، في بيوتكم وفي الشوارع من عواطف ان دلت على شيء فانما تدل دلالة أكيدة على أن الصلة بيني وبينك ستبقى ان شاء الله صلة وثيقة مادمت أنا خادمك الوفي وما دمت أنت شعبي العزيز، وقد أبيت الا أن أخاطبك بلهجتنا الدارجة حتى يمكنني أن أعبر عن جميع ما يخامرني وأن أفهم جميع المواطنين ما أريد أن يفهموه.

يمكن أيها الشعب العزيز أنك لاحظت أن خطاب العرش لم يتطرق في هذه السنة الى المواضيع التي يطرقها تقليديا في كل السنوات وذلك لسبب واحد : وهو أنني أريد أن تفهم أكثر من ذي قبل على أن الوقت قد حان والظروف قد أتت لكي تفهم على أن بلادنا العزيزة تقف في مفترق الطرق نعم سمعت خطابي وانني قلت بأن المغرب وجد نفسه أمام اختيارات وقد اختار فعلا فيما يخص سياسته الداخلية والخارجية، واختار بشجاعة.

ولكن المغرب اليوم يجد نفسه أمام اختيارات بالنسبة اليه وبالنسبة لضميره ولوطنيته وإذا كان والدي محمد الخامس قدس الله روحه في الجنان يقول : اننا خرجنا من الجهاد الأصغر بعد نيل الاستقلال لخوض معركة الجهاد الأكبر فانه كان يفهم — رحمه الله — ما كان يقول، وحينما قال لي في الرسالة الخالدة التي وجهها لي في عيد ميلادي : يابني أن جيلي يكفيه فخرا وعزا واعتزازا انه أتى باستقلال البلاد فعلى جيلك أن يبني هذا الاستقلال ويدعمه، فانه كان رحمه الله صدوقا فيما يقول بل كان — كعادته — متنبئا بالحوادث ومتنبئاً بالسنين الحاسمة التي سيجتازها المغرب ابتداء من السنوات المقبلة.

عليك أن تعلم أيها الشعب العزيز أن بلادك مثار الغيرة والحسد والشهوات، لماذا ؟ لأن بلادك غنية وكريمة وذات ماضي ومجد ويجب أن تفهم أن كل واحد يتربص بالشعب المغربي وبملك المغرب انهم سيحيدون عن الطريق السوي، ويجب أن تفهم على انه رغم الوعود المعسولة ورغم الصداقة التقليدية ورغم كل ما يعدوننا به من اعانات ومن امدادات من الخارج ومن الدول الصديقة يجب أن تعلم على انه يجب عليك أن تعتمد على نفسك أولا حتى يمكن للخارج أن يعينك ويجب أن تعلم على أن أحسن اعانة يمكنك أن تقدمها الى بلادك ولعائلتك ولنفسك هي أولا وأخيرا أن تكون متمسكا بالفضيلة، وما هي الفضيلة ؟ الفضيلة هي حسن المواطنة وهي الأخلاق الاسلامية وهي الحب أي أن تحب لغيرك ما تحبه لنفسك وأن تحب لمن جاء يتقاضى اليك ما تحبه لنفسك، أن تحب جميع الناس كما تريد أن يحبوك.



المواطنة الحقيقية هي الضمير المهني وهي أنك تقول كل صباح سأقبل على عملي وكل مساء تحاسب نفسك على ما قدمته كل يوم.

والله شهيد على أنني — كما قال جدي عليه الصلاة والسلام — اللهم لا أسألك نفسي ولا فاطمة ابنتي واني أسألك أمتي. والله على ما أقول شهيد ووكيل، اللهم اني لا أسألك نفسي ولا مريم ابنتي واني أسألك شعبي، أسألك أن يستقيم وأسألك لجميع المسؤولين في جميع الاطارات والمستويات أن يخدموا بلادهم ويحبوها ويرأفوا عليها ويحيطوها بقلوبهم من جميع الأخطار التي تهددها، يجب أن تعلموا أيها المواطنون أيها الشعب العزيز أن الوقت يسير بسرعة وأن الظروف حرجة وأن المغرب يملك صيتا وسمعة، عليكم دائما وأبدا أن تحافظوا للمغرب على هذا الكسب وهذه السمعة، نعم لقد ظللت الى يومنا هذا مضطلعا بمهام شتى كنت في آن واحد ملكا ورئيس حكومة ولكن ابتداء من 18 نوفمبر أصبحت ملكا في نطاق الملكية الدستورية ذلك الاطار الذي اخترته لنفسي قبل أن اختاره لكم، والله سبحانه وتعالى كلل المساعي بالنجاح حيث أن استفتاءك جاء مطابقا لما كنت أعتقد.

والآن يمكنني أن أقول لكم أيها المغاربة الأعزاء انني أخذت على نفسي وعدا على أنني سأكون مراقبا باسمكم ليل نهار على سير الادارة، المراقب باسمكم على أموال الدولة على الضمير المهني على العمال والادارة على الوزراء والنواب والمعلمين والأطباء على كل من يمارسون مسؤولية في هذه البلاد، وأريد قبل كل شيء أيها الشعب العزيز أن تعينني وإعانتك لي هي ان تخلص العمل لله ولوطنك فلست وحدي قادرا على شيء إذا لم تكن الادارة والحكومة وإذا لم تكن جميع الاطارات في خدمتك وتحت تصرفك أقول هذا وأنا أقول إن شاء الله أننا بعد أن نلنا الاستقلال ومررنا بتلك المصائب التي مررنا بها كانت حقيقة مفتوحة أمامنا آفاق التعايش والتفاهم والتفاؤل والتوازن والاستقامة، ولكن أبى الله الا أن يمتحننا، والمؤمنون كلهم يبتليهم الله سبحانه وتعالى فابتلانا الله وأملنا أن نخرج من البلوى مرفوعي الرأس وقلوبنا مطهرة، ونياتنا سليمة.

وكونوا على يقين بأنكم ستجدون دائما في ملككم وفي خادمكم الحسن الثاني ذلك الشاب الذي عرفتموه منذ نعومة أظفاره في قسمه، وعرفتموه في الشارع وفي طائرة المنفى، وفي موكب الرجوع من المنفى عرفتموه دائما سائرا وراء نهج أبيه وملكا دستوريا وجنديا على رأس جنوده وستجدون في الحسن الثاني وبفضل معونة الله وبالتفافكم حوله ذلك الرجل الذي أبى على نفسه أن يخون الأمانة، وأن يكون دائما عند حسن ظنكم وقبل كل شيء عند حسن ظن روح والده الذي لم يدخر رحمه الله وقتا لا من ليله ولا من نهاره في سبيل تكوينه حتى يكون الخادم الوفي للشعب الأمثل.

وقبل الختام أكرر شكري لجميع المغاربة الذين احتفلوا — حقيقة — بعيد العرش لا كرعايا ولا كمواطنين وإنما احتفلوا به كما يحتفل الاخوان بأخيهم الأكبر، لقد كنت أتصور أن أسرة من اثنى عشر مليونا من السكان يحتفلون بهذا العيد، وأن جميع السكان يحتفلون بهذا الأخ، وأشكر بالأخص أهل مدينة الدار البيضاء وعاملها الجنرال ادريس بن عمر وجميع موظفيها الكبار والصغار، والساهرين على الأمن والنظام وأشكر كذلك المجلس البلدي وموظفيه وأشكر ذلك الصغير الذي ربما وقف في الطرقات ساعات ليراني ولو دقيقة وربما لم تتح له هذه الفرصة، وذلك الذي قضى ليله ونهاره في المسير ليراني وأولئك الذين أظهروا معالم الزينة بأبواب منازلهم ودكاكينهم.



أطلب من الله سبحانه وتعالى أن يضفي عليكم أسرة أسرة وبيتا بيتا وفردا فردا أن يضفي عليكم مَن نعمه وخيره ومن رضوانه وأن يجعلكم دائما خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالدار البيضاء

الأربعاء 19 شوال 1383 — 4 مارس 1964